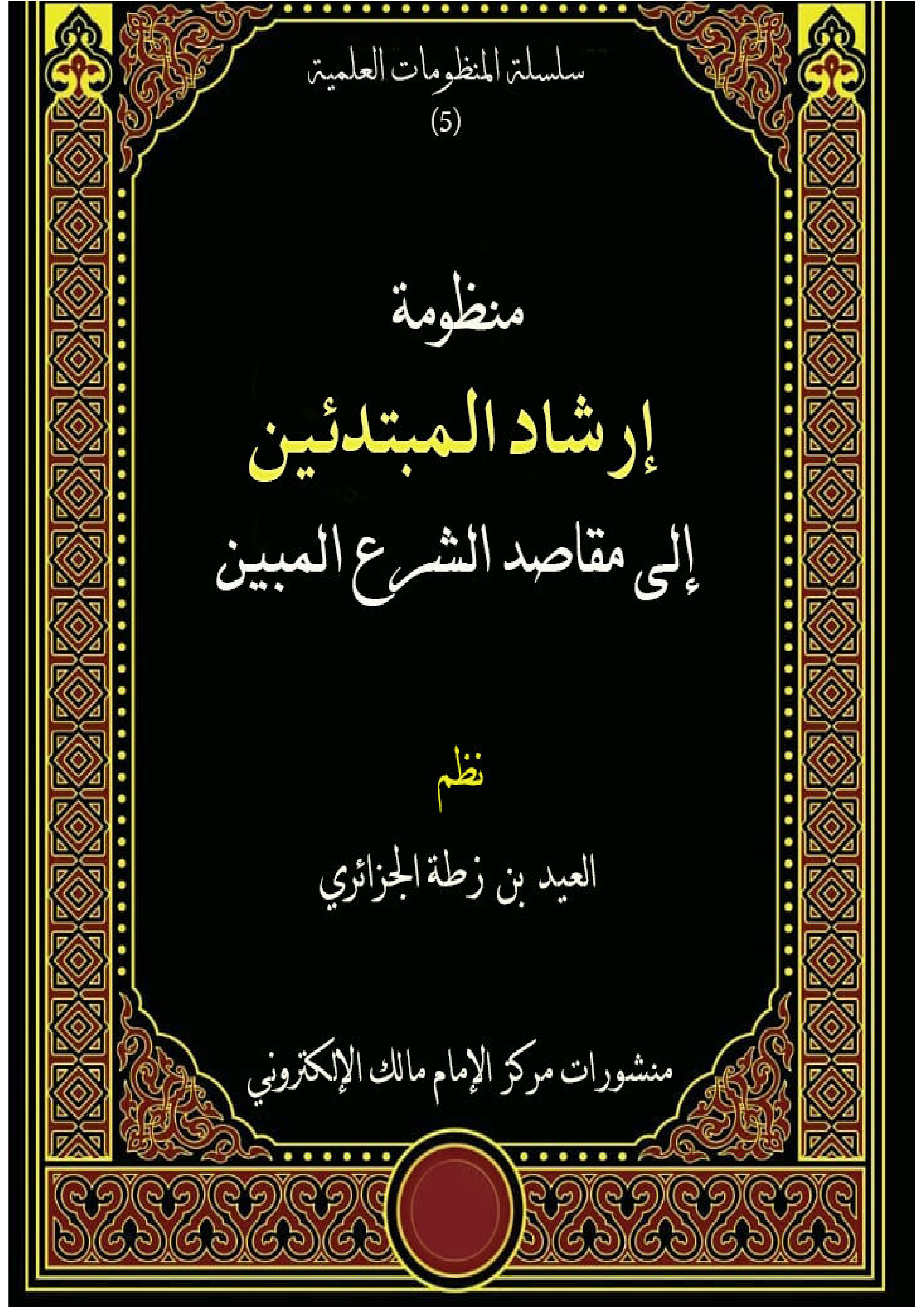

سلسلة المنظومات العلمية
(5)
منظومة
إرشاد المبتدئين
إلى مقاصد الشرع المبين
نظم
العيد بن زطة الجزائري
منشورات مركز الإمام مالك الإلكتروني

منظومة إرشاد المبتدئين

إلى مقاصد الشرع المبين

تأليف العيد بن زطة الجزائري

مقدمة منظومة إرشاد المبتدئين إلى مقاصد الشرع المبين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين.

وبعدُ: فهذه منظومة مختصرة في علم المقاصد الشرعية، مستخلصة من قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام، ومقاصد الشريعة للطاهر بن عاشور، والموافقات لأبي إسحاق الشاطبي وغيرهم، رحمهم الله جميعا وعفا عنا وعنهم.

كتبتها طمعا في نيل ثواب الصدقة الجارية، وخدمة لهذا العلم الجليل، الذي لم توضع فيه منظومات مقربة لمعانيه كسائر الفنون الأخرى، وقد سميتها: (إرشاد المبتدئين إلى مقاصد الشرع المبين). فأسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يكتب لها القبول وينفع بها المبتدئين أمثالي وعامة المؤمنين. وعسى الله أن ينبه لها من يصحح أخطاءها، ويتمم نقائصها، ويشرح ألفاظها ومعانيها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله الذي بحمده يبلغ ذو القصد تمام قصده.

العبد الفقير المضطر لرحمة ربه المنكسر فؤاده من الجناية والتقصير:

العيد بن التهامي بن زطة الجزائري

مقدمة

أَبْـدَأُ نَـظْـمِـي بِـحَـمْـدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَـوَالِـمِ عَـظِيـمِ الْجَاهِ
مُصَلِّـيًا عَلَى النَّبِـيِّ الْمُنْتَقَى وَآلِـهِ وَصَحْـبِهِ أُولِي التُّـقَى
وَأَسْتَعِيـنُ اللهَ فِـي مَنْظُـومَةْ مَقَاصِـدُ الشَّـرْعِ بِـهَا مَرْسُومَةْ

تعريف المقاصد وأهميتها

وَحَـدُّهَا مَـا الشَّـارِعُ ابْتَـغَاهُ مِـنْ تَشْـرِيعِهِ لِلْحُكْـمِ جَلْبًا لِلْمِنَـنْ
فَـهِـيَ لِلْفَـقِـيـهِ آلَـةٌ تَقِي مِـنْ زَلَلٍ فِي الِاجْتِـهَادِ يَا تَـقِي
لَـدَى تَعَـارُضٍ مُعِينَـةٌ عَـلَى تَرْجِيـحِ مَـا طَلَبُ حِفْظِـهِ جَلَا
فَعِنْدَ الِاسْتِنْـبَاطِ لِلْأَحْكَامِ كُـنْ لَهَا مُرَاعِـياً كَـأَصْلٍ قَـدْ زُكِـنْ

ابتناء الأوامر على جلب المصالح والنواهي على درء المفاسد

وَكُـلُّ أَمْـرٍ فِـي الشَّـرِيعَةِ ابْتَنَى عَلَى صَـلَاحٍ لِلْعِـبَادِ يُجْتَنَى
كَمَا ابْتَنَى النَّهْيُ عَلَى دَرْءِ الضَّرَرْ وَذَا بِالِاتِّـفَاقِ مِـنْ أُولِي النَّظَرْ
فَلِلصَّـلَاحِ الجَلْبُ شَـرْعًا لَزِمَا وَلِلْـفَسَـادِ الدَّرْءُ أَيْـضًا حُتِـمَا

أقسام المصالح من حيث الاعتبار والسكوت والإلغاء

ثَـمَّ الْمَصَـالِـحُ كَـمَا قَدْ حُـدِّدَا ثَـلَاثَـةٌ: فَإِنْ لَـهَا قَـدْ شَـهِدَا

أَصْـــلٌ مُـعَيَّـنٌ فَـهِـيْ معْتَبَـرَهْ كَحَظْرِ خَمْـرٍ لِلْعُقُـولِ مُسْكِـرَهْ

وَإِنْ أَتَـتْ فِـي الْكُلِّيَاتِ دَاخِلَهْ كَجَـمْعِ قُـرْآنٍ فَسَـــمِّ مُرْسَلَـــهْ

وَأَلْـــغِ إِنْ دَلِيـلَ شَرْعٍ خَـالَفَتْ كَـمَرْأَةٍ إِرْثًا أَخَـــاهَا مَـاثَلَـتْ

وَقَـدِّمِ الشَّرْعَ عَلَى الْعَقْلِ لَـدَى تَعَارُضٍ –فِي الدَّرْءِ وَالْجَلْبِ– بَدَا

الكليات الخمس وترتيبها

وَقَصْدُ شَـرْعِنَا بِالِاسْتِقْرَا انْحَصَرْ فِي حِفْظِ خَمْسَةِ أُصُولٍ مِنْ خَطَرْ

دِيناً فَنَفْـسًا ثُـمَّ عَـقْـلاً نَسْلَـنَا فَالْمَـالَ صُـــنْ مُقَـدِّمًا كَـقَوْلِـنَا

وكُـلُّ مَا يَحْفَظُـهَا فَمَصْلَحَـــهْ وَضِـــدُّهُ مَـفْسَـــدَةٌ مُـطَّـرَحَـهْ

أقسام المصالح من حيث قوتُها

فَـــمَا بِفَـوْتِـــهِ تَرَتَّـــبَ تَلَـــفْ كُلِّيَّةٍ فَـهْــوَ ضَـــرُورِيٌّ عُـــــرِفْ

ومَـــا عَلَى فَـوَاتِـــهِ ضَيْـقٌ نَتَجْ فَحَـاجِيٌ يُحْفَـظُ رَفْـعًا لِلْحَـــرَجْ

وَمَـا أَتَى فِي عَـــادَةٍ مُسْتَحْسَـنَا كَـسَتْـرِ عَـــوْرَةٍ فَتَحْسِيـــنِي لَنَا

وَحَـاجِيٌ أَصْـــلٌ لِتَحْسِينِي كَـمَا أَنَّ الضَّـــرُورِيْ هُـــوَ أَصْـــلٌ لَهُـمَا

والفَرْعُ بِاخْتِلَالِ الَاصْلِ يَضْطَرِبْ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ فَصُنِ الْأَصْلَ تُصِبْ

الترجيح بين المصالح المتعارضة فيما بينها

وَاجْلُبْ مِنَ المَصَالِحِ الْأَعْلَى لَدَى تَزَاحُمٍ إِنْ عَـزَّ جَمْعٌ نُشِـدَا
فـوَاجِـبًا قَـدِّمْ عَـلَى مَا نُـدِبَا كَـذا عَلَى أَدْنَاهُ فِي مُا وَجَبَا
وَقَـدِّمـنْ مِـنَ المَصَـالِـحِ الْأَعَمْ كَمَثَلِ القِصاصِ مِمَّـنِ اجْتَرَمْ
كَـذَا ضَـرُوريٌّ عَلَى حَاجٍ كَمَا فِي حِفْـظِ نَفْسٍ بِطَعَامٍ حَرُمَا
وَذَا عَلَى مُسْتَحْسَـنٍ كَالاِقْتِدَا بِفَاجِـرٍ إذا سِـوَاهُ افْتُقِـدَا
والْكُـلِّيَاتُ حَصِّلَـنْ أَهَمَّـهَا مُرَتِّبًا كَمَا مَضَى فِي ذِكْـرِهَا
فالنفسُ تُتْلَـفُ لِصَـوْنِ دِينِنَا كَقَتْلِ مُـرْتَدٍّ وَفِي جِهَـادِنَا
وَالعَقْلُ يُهْمَـلُ لأَجْـلِ حِفْظِهَا كَشُـرْبِ خَمْـرَةٍ بِـهَا خَلَاصُهَا
والنَّسْـلُ يُطْـرَحُ لِحِفْـظِ عَقْلِنَا كَوَضْعِ جَلْـدٍ مُتْلِفٍ عَمَّـنْ زَنَى
والمَالُ يُطْـرَحُ لِحِفْـظِ نَسْلِنَا كَحَظْرِ أَكْلِ ذِي اضْطِرَارٍ بِالزِّنَى
فَعِندَ الاضْطِـرَارِ جَـازَ مَا حَـرُمْ غَيْـرُ الزِّنَى وَقَتْـلِ مُسْلِمٍ عُصِمْ

العمل عند تساوي المصالح المتعارضة

وَالْجَمْعُ بَيْنَ مَا تَسَـاوَى فِي الجَلَبْ أَفْضَلُ منْ إِهْمَالِ بَعْضِ مَا طُلِبْ

كَمَن خَشِيْ فَوْتَ وُقُــوفِ عَرَفَهْ　　صَلَّى كَفَارٍّ مِـــنْ عَــدُوٍّ ذَعَرَهْ

ثُـمَّ إِنِ امْتَنَـعَ جَـمْـــعٌ خُيِّـرَا　　مُـقَــدِّمًا ذَاكَ وَذَا مُـــؤَخِّـــــرَا

نَحْــوُ قَـضَا فَرْضَيْ صِيَامٍ أَدْبَـرَا　　وَفَـــرْضِ حَــــجٍّ وَاعْتِمَـارٍ نُذِرَا

وَفِي تَـعَـادُلِ الْحُقُـــوقِ أُقْرِعَا　　كَابْنَيْــنِ فِـــي غُسْلِ أَبٍ تَنَازَعَا

الترجيح بين المفاسد المتعارضة فيما بينها

وَيُدْرَأُ الْأَعْـلَى مِـنَ المَفَاسِـــدِ　　بِالِارْتِكَـابِ لِلْأَخَـــفِّ الفَاسِـــدِ

كَـدَفْـــعِ رَشْـــوَةٍ لَدَرْءِ هُجْنَـةِ　　وَأَكْـلِ مَيْتَـةٍ لِحِفْـــظِ مُهْجَـةِ

وَقَتْـــلِ سَـاحِرٍ وَحبْسِ عَـائِنِ　　لَدَفْـعِ ضُــرٍّ لِلْعُمُـومِ شَـائِنِ

وَلاَ يُـــزَالُ ضَـــــرَرٌ بِمْثْلِــهِ　　كَحِفْــظِ نَفْسِــــهِ بِقَـتْلِ غَيْرِهِ

وَضَــرَرًا فَادْفَـــعْ بِقَدْرٍ مُمْكِنِ　　إِنْ عَــزَّ رَفْـعُ كُلِّـهِ كَضَامَـــنِ

لِقِيمَــةِ الْمَغْصُــوبِ يَوْمَ غَصْبِهِ　　أَوْ رَدِّ مِثْـلِـــهِ لِفَـــوْتِ عَيْنِـــهِ

العمل عند تساوي المفاسد المتعارضة

وَإِنْ تَسَـــاوَتِ الْمَفَـاسِـــدُ انْتَقَى　　كَـأَنْ بِأُزْرَتَيْـهِ نَجْــــسُ عَلِــــقَا

أَوْ مُطْلَـــــقًا عَـنْ كُلِّـهَا تَوَقَّـفَا　　فِي مِثْلِ إِكْـرَاهٍ عَلَى أَنْ يَقْـذِفَا

بِالزُّورِ مُسْلِـــمًا بِـهِ قَـدْ يُقْتَلَنْ　　أَوْ قَتْلِ مِثْلِـهِ فَعَــنْ ذَيْنِ اعْدِلَنْ

الترجيح بين المفاسد والمصالح المختلطة

وَإِنْ صَــــلَاحٌ بِفَسَـــادٍ اِمْتَــزَجْ   فَأَهْمِلِ الْمَغْلُوبَ وَالْعَكْسَ انْتَهِجْ
لَوْ لَمْ يَكُ المَغْلُــوبُ مُهْمَلاً لَزِمْ   جَلْبٌ مَــعَ الدَّرْءِ وَنَـفْيُ ذَا حُتِمْ
فَادْرَأْ مَا فَسَــــــادُهُ قَــدْ غَلَـبَا   كَتَــرْكِ مَعْــذُورٍ لِغُسْـــلٍ وَجَبَا
وَاجْلُـــبْ مَا صَـــلاَحُهُ تَرَجَّحَا   كَكَـذِبٍ لِأَجْلِ صُلْــحٍ مُدِحَا

الترجيح بين المفاسد والمصالح المتساوية على فرض وجوده

وِإنْ يُعَــــادِلِ الْفَسَــادُ ضِــدَّهُ   أصَالَــــــةً يَلْـــزَمُ أَيْـضًا دَرْؤُهُ
فَالدَّرْءُ أَوْلَى عِنْدنَا مِــنَ الْجَلَــبْ   لِــذَا لَــدَى تَعَــادُلٍ أَيْضًا يَجِبْ
وَقَــــدْ يَكُـفُّ عَنْهُــمَا أَوْ يَنْتَقِي   وَفِــي وُقُــوعِ ذَا خِــلاَفٌ يَا تَقِي

اعتبار المآل والقواعد المتفرعة عنه

وَرَاعِ فــي الفِعْــــلِ مَآلاً رَاجِحَا   كَيْـفَ يَؤُولُ فَاسِــدًا أَمْ صَــالِحَا
لَوْ لَــمْ يُرَاعَ ذَا الْمَـآلُ لاَنْفَصَـمْ   اَلْحُكْمُ عَـنْ قَصْدٍ لَهُ شَرْعًا رُسِمْ
فَامْنَعْـهُ مَــا أَفْضَى إِلَى مَفْسَـدَةِ   كَنَهْيِ صَائِــمٍ قَــوِيْ عَنْ قُبْلَةِ
كَــذَا إذَا بِــهِ تَحَيُّــلٌ قُصِــدْ   كَمَنْـعِ هِيبَــةٍ إِذَا القَصْـدُ فَسَـدْ

فمَــنْ يُرِدْ بِالْفِعْــلِ غيْرَ مَا شُرِعْ لَــهُ فَبَــاطِــــلٌ ورَدٌّ مَــا صَــنَعْ
وَأَذَنْ إِذَا ظُـــــنَّ صَــلَاحٌ يُرْتَجَى كَكُفْرِ مُكْــــرَهٍ وَرَشْــوِ مَنْ هَـجَا
وَأَجْــرِ حَـمَّامٍ كَـمَا قَــدِ انْتُهِجْ عَلَى خِلاَفِ الْأَصْلِ رَفْعًا لِلْحَرَجْ
وَأَثْبِــتُوا عَقْــدًا فَسَــادًا يَحْتَوِي رَعْيًا لِخُلْفِ مَـــنْ دَلِيلُــهُ قَـوِي

مراعاة المعاني وتعليل الأحكام

وَرَاعِ فِي الْمَنْصُــوصِ مَعْنًى قُصِدَا مِـنْ غَيْرِ إِهْـمَالٍ لِظَاهِــــرٍ بَدَا
كَـنَحْوِ مَنْـعٍ لِلْقَضَـا حَالَ السَّغَبْ فَهُوَ فِي تَشْوِيشِ عَـقْـلٍ كَالْغَضَبْ
وَأَلْغِ مَا أَفْضَـــى مِــــنَ الْمَعَانِي إِلَى اخْـتِــلاَلِ النَّـــصِ وَالْمَبَانِي
وَالْأَصْلُ فِي التَّعَبُّدِي الْإِحْجَامُ عَنْ تَـعْـلِيلِــهِ كَنَـحْـوِ ثَوبٍ يُنْضَـحَنْ
وكالركُـوعِ وَالْوُضُـــوءِ ثُمَّ كُــلْ مَـا دَرْكُ مَعْنَاهُ عَـنِ الْعَقْـلِ أَفَـلْ
وَقَـدْ يُعَـلِّلُــونَ ذَا لَكِــنْ نَـدَرْ نَحْـــوُ وُضُـو بِهِ التَّوَانِي يَنْحَسِرْ

المشقة الجالبة للتيسير وضوابطها

وَكُــلُّ شَــاقٍّ صَاحَــبَ التَّكْلِيفَا اسْتَـوْجَــبَ التَّيْسِيــرَ وَالتَّخْفِيـفَا
إِنْ كَـانَ خَـــارِجًا عَـــنِ الْمُعْتَادِ بِالْعَبَـدِ مُفْـضِــيًا إِلَى الْإِفْـسَـادِ
كَــمَـنْ خَشِيَ ضَـــرَرَ مَا تَيَّمَمَا أَوْ لَمْ يُطِــقْ صِيَامَ فَرْضٍ أَطْعَـمَا

وَلَا اعْتِبَــارَ لِمَشَــقَّــةِ الْهَــــوَى كَإِلْفِ تَدْخِينٍ عَلَى الضُّرِ احْتَوَى

كَذَا إِذَا إِيقَاعَــهَا الْعَـبْدُ قَصَــدْ كَالْمُوصِلِ الصَّيَامَ أَجــرًا يِعْتَقِـدْ

أَوْ كَمُسَــافِــــرٍ تَفَــلُّـتًا يُرِيــدْ مِنْ صَوْمِـهِ مُنَاقِضًا قَصْدَ الْمَجِيدْ

وَبَطَلَ الْقَصْـــــدَانِ وَالثَّانِي يَزِيـدْ حِرْمَـانَ رُخْصَــةٍ وَقِيــلَ بَلْ يُفِيـدْ

لَكِــنْ يَصِحُّ قَصْدُ تَكْلِيفٍ عَسِيرْ لِمَا تَضَـمَّنَ مِـنَ الْأَجْرِ الْوَفِيـــرْ

نَحْـوُ جِــهَـادٍ مُرْهِــقٍ كَـذَا صِيَامْ فِيَ زَمَـنِ الْحَـرِّ لِيَوْمِ الِازْدِحَـــامْ

الأصل في التكليف جريانه على الوسط

وَالْأَصْــلُ فِي التَّكْلِفِ أَنْ يُوَسَّطَا مِنْ غَيْــرِ تَفْرِيــطٍ وَلَا أَنْ تُفْرِطَا

فَــلاَ تُنَاصِبْ آلَ بَيْتِ أَحْمَــدَا وَلاَ تُؤَلِّـــهْ وَاسْلُكَـنْ نَهْجَ الْهُدَى

وَالْجَـبْـــرَ فَانْـفِ ثُــمَّ أَثْبِتْ قَدَرَا وَالْعَفْــوَ فَارْجُ وَانْأَ عَمَّـنْ فَجَــرَا

وَصَــلِّ ثُــمَّ نَمْ وَحَــــاذِرْ أَنْ تَمَلْ فَاللّٰهُ يَسْـــــأَمُ إِذَا مُــلَّ الْعَمَــلْ

وَقَاتِــرًا فَــلَا تَكُـــــنْ أَوْ مُسْـرِفَا وَابْتَغِ بَيْـنَ ذَيْـنِ نَهْــجًا مُنْصِـفَا

وَقِـــسْ نَظِيــرَ مَا ذَكَــرْنَا مُهْمِـلاً تَوَسُّـــطًا يُهْــــدِرُ نَــصًّا نُـقِـلَا

كَمَثَلِ الْجُلُــوسِ وَسْـــطَ حَلْقَـةِ وَالْأَكْـلِ مِـنْ وَسَطِ نَـحْـوِ جَفْنَـةِ

مسالك الكشف عن المقاصد

وَأَثْبَتُوا المَقَاصِــــــدَ الشــرعيَّـهْ بآيــةٍ واضــحـــــــةٍ جليَّـهْ
تَوَاتُـــــرِ السُّنَـــــنِ وَاسْتِقْـــرَاءِ تَصَـــرُّفِ الشَّـرِيعَـــةِ الْغَـرَّاءِ
كَمَا لَوِ الْأَحْكَامُ قَـــدْ تَمَـاثَلَتْ فِي حِكْمَةٍ لأجلها قدْ شُرِعَتْ
كَقَصْدِ قَطْعِ دَابِـرِ الْخِصَـــــامِ وَحِــفْـظِ الانْسِـجَامِ وَالوِئَـامِ
بِحَظْرِ خِطْبَةٍ عَلَى أَخْـــــرَى كَـذَا سَـوْمٌ عَلَى سَوْمٍ وَمَا أَشْبَـهَ ذَا
فَإن تَخَـلَّى الْأَوْلَيَانِ ذَا انْتَـــفَى إِذْ لَمْ يَعُدْ لِلْحظْرِ قَصْدٌ يُقْتَفَى
كَــــذَا إِذَا أَدِلَّـــةٌ اِشْـتَرَكَتْ فِـي عِلَّةٍ شَرْعًا يَقِينًا قُصِدَتْ
كَمَقْـصِدِ الـرَّوَاجِ لِلطَّـــــعَامِ فِي السُّوقِ تَيْسِيرًا عَلَى الْأَنَامِ
فَعَـــنْ شَـــــرَائِهِ قُبَـيْلَ قَبْضِـهِ وَنَسْـئِـهِ ثُـمَّ احْتِكَـارِهِ نُهِـي
وَبِالـرَّوَاجِ ذِي النَّوَاهِـــي عُلِّلَتْ وَعِلَّـــةٌ عَنْ مَقْصِدٍ قَدْ كَشَفَتْ
فاسْتَقْرِئَنْ يا صاحِ ذَيْنِ المَسْلَكَيْنْ عَنِ الْمَقَاصِدِ تُبِنْ فِي الْمَصْدَرَيْنْ

الخاتمة

تِسْــعًا وَتِسْــعِــينَ أَبْيَــاتُهَا أَتَتْ   بِعَــدِّ أَسْـــــمَاءِ الْجَلِيلِ خُتِمَتْ
صَلَّى وَسَلَّــمَ عَلَى الْهَادِي الْأَمِينْ   وَآلِـــــهِ وَصَحْــبِــهِ وَالتَّابِـعِـيــنْ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيــمِ ذِي الْجَــلاَلْ   بِحَمْــدِهِ قَــدِ اسْتَـقَـامَ ذَا الْمَـقَالْ